المدارس النحوية، دراسة مقارنة بين كتابي المدارس النحوية لدكتور شوقي ضيف و دكتورة خديجة الحديثي

أ. صفاء دفع الله محمد علي*

د. عصام الدين سر الختم أحمد**

مستخلص:

هدفت الدراسة للمقارنة بين كتابين من أوائل كتب المدارس النحوية، دراسة منهجية للكتابين، وأهم السمات التي يتسم بها كل كتاب، وبيان نقاط الاتفاق والاختلاف،نهجت الدراسة المنهج المقارن، وتوظيف المنهج التحليلي النقدي، بالاعتماد في ذلك كله على مصادر الفريقين الرئيسية للوصول لنتائج علمية موضوعية، أهمها في النحو ثلاث مدارس متفق عليها بين الكتابين وهي مدرسة بصرية، ومدرسة كوفية، ومدرسة بغدادية، وأُخريين امتداداً لهذه المدارس .

Abstract

The study aimed to compare two of the first books of grammar schools, a systematic study of the two books, the most important features of each book, and the points of agreement and difference., the most important of them in grammar are three schools agreed upon between the two books: a visual school, a kufic school, a Baghdadi school, and two others as an extension of these schools.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيد الأنام وأله وصحبه الكرام وبعد: شهدت الدراسات اللغوية في بداية القرن العشرين حركة دؤوبة، و ظهرت عدد من الجهود التي اتجهت إلى دراسة التراث ويعد النحو من العلوم التي حظيت بالنصيب الأوفر، وقد شاع الحديث عن الخلافات

* باحثة ومعلمة بالمرحلة الثانوية – ولاية النيل الأبيض

** أستاذ مساعد – جامعة بخت الرضا– كليّة الآداب

النحوية وأتجه كثير من العلماء للتأليف في هذه القضية، وقد كان القدماء في تناولهم لهذه الخلافات يعتمدون على تسمية المذهب، وتوسع المحدثون واطلقوا مصطلح مدرسة وتباروا في إيراد الأدلة التي تدلّ على وجودها، وجعلوا لكل مدرسة مؤسساً وشيخاً، وتابعاً، وهنالك مدارس متفق عليها و أخرى مختلف فيها، وجاءت هذه الدراسة للمقارنة بين كتابين من أهم كتب المدارس النحوية للوصول لمعرفة ما حقيقة هذه المدارس.

تمهيد:

لأبد من معرفة مفهوم المدرسة، فالمدرسة في اللغة: من الفعل درس، ففي اللسان:" درس الكتاب يدرسه درساً ودراسة ودارسه من ذلك كأنه عانده حتى انقاد لحفظه." [1] إذا فالمدرسة من مشتقات الفعل درس أخذ لفظ مدرسة وابن منظور ضبطها على وزن مِفعل ... والمِدْرَسُ الموضع الذي يُدرس فيه." [2] وهي اسم مكان على وزن " مَفْعَلَةَ " لما يكثر فيه الدرس [1] وهي جماعة من المفكرين تعتنق مذهباً معيناً وتقول برأي مشترك [3] قد عرفها في الاصطلاح مجموعة من العلماء والمؤلفين منهم: جوتلد فايل قائلاً: " هي الاشتراك في وجهة النظر الذي يؤلف الجبهة العلمية ويربط العلماء بعضهم ببعض على رأي واحد [4] وعرفها أيضاً د. مهدي

(1)ابن منظور، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه أمين عبدالوهاب وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الثالثة 1419هـ –1999م، 329/4.

(2)السابق نفسه. 330/4.

(3)إبراهيم مصطفى، و أحمد حسن الزيات وأخرون. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت، ج2، ص 859

(4)كارل برو كلمان. تاريخ الأدب العربي، ترجمه: عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة، ط4، ج2، ص 127

(4)عبدالله الخثران. مراحل تطور الدرس النحوي، دار المعرفة الجامعية – إسكندرية، ط1، 1413هـ – 1993م، ص148

المخزومي قائلاً: " هي أستاذ مؤثر و تلاميذه متأثرون وقد اجتمعوا على غرض واحد ونهجوا إلى الوصول إليه منهجاً واحدا[1]

والتعريف الشامل للمدرسة بمفهومها الحديث هو تعريف د. أحمد مكي الأنصاري حينما تحدث عن الفراء، عرفها: " بأنها أتجاه له خصائص مميزة ينادي بها مجموعة من الناس يعتنقون منهجاً محدداً ذا خصائص و مميزات ويؤمنون به ويدافعون عنه و إن لم تجمعهم وحدة جغرافية " [2]

المبحث الأول: المدارس النحوية

أولاً: المدرسة البصرية:

تكاد تتفق أمهات الكتب بأن ظهور بوادر علم النحو بحد ذاته هو ظهوراً لبوادر المدرسة البصرية، لأن النحو العربي في أولياته لم يكن في الحقيقة سوى مواقف وحوادث لغوية جاءت على الفطرة والسليقة اللغوية، لذلك لم يكن أبوالأسود الدؤلي أو غيره ليقصدها، وفكرة مدرسة بمعنى منهجي لم تخطر في بالهم لذلك لا يمكن أن أبا الأسود أو أبا إسحاق الحضرمي مؤسسا المدرسة البصرية [3]

والنحو العربي وصل للنضج والكمال على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، و أن النحو بصورته المعروفة نشأ بصرياً وتطور بصرياً، وذكر ابن سلام بأنه كان لأهل البصرة في العربية قدامة، وبالنحو ولغات العرب عناية [4] والبصرة سابقة للكوفة لعدة أسباب تتمثل في العامل السياسي حيث الولاء عثماني

(1)مهدي المخزومي. مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي – مصر، ط2، 1377هـ – 1985م، ص 7

(2) أحمد مكي الأنصاري. أبو زكريا الفراء ومذهبه في دراسة النحو واللغة، المجلس الأعلى لرعاية والفنون والآداب ونشر الرسائل الجامعية، ص352

(3)شوقي ضيف. المدارس النحوية، دار المعارف – القاهرة، ط7، 1968م، 18

(4)الجمحي محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمد شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ج1، ص 231

أموي، كما أن للموقع الجغرافي دوراً كبيراً لأنها محاذية لبادية العراق ولها القدرة للاتصال بالثقافات الوافدة عبر البحار [1]

لقد قام أبو الأسود وتلاميذه باستقراء دقيق للقواعد وتعليمها، مشترطين صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم ؛ حتى أصبحت لكل قاعدة أصلاً تقاس عليه الجزئيات، ورحلوا إلى الصحراء مستمدين من قبائل تميم، وقيس، و طيء، هذيل وغيرها، لسلامة لغتهم من مؤثرات اللحن التي تعرض لها أهل الحضر [2] خلف أبو الأسود عنبسة الفيل (ت 100هـ)، و ميمون الأقرن (ت 100هـ)، وعطاء بن حرب، ويحيى بن يعمر، وخلفهم عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر، و أبو عمر بن العلاء، ثم أخذ عنهم سيبويه [3]

منهج المدرسة البصرية:

تميز النحاة البصريون بالميل للفلسفة والمنطق أكثر من الرواية والنقل، ونشأ صراع بينهم وبين القراء، وأهل الحديث، ولم يعتدوا بالقراءات في اثبات القواعد النحوية والتراكيب اللغوية، ولا يقبلون الاعتماد بالشواهد الشعرية إلا إذا كانت متواترة وتواترها هو كثرة دورانها على الألسن وصدورها من العرب الخلص ولا يعتمدون على لغة سكان البوادي بل كانوا إذا ارتابوا في أمر أحدهم امتحنوه [4]

(1) إبراهيم عبود السامرائي. المفيد في المدارس النحوية، دار الميسرة للطباعة والنشر، عمان – الأردن، ط4، ص 24– 50

(2) مهدي المخزومي. سابق، مدرسة الكوفة، ص 64– 65

(3)الفارسي أبو عبد الله بن الطيب. فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح، تحقيق: د. محمود فجال، دار البحوث للدراسات، الأمارات، ط1، 1423هـ – 2002م، ص 1157

(4)أبو البقاء العكبري. مسائل خلافية في النحو، تحقيق: عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب القاهرة، 2004م، ص27

كما أنهم كانوا يتأكدون من ناقل اللغة ومدى أمانته وحفظه، فلم يعتدوا بمن اتهموا بالوضع أمثال: حماد الراوية، وابن دأب، والشرفي القطامي، ومحمد بن إسحق بن يسار، قال الأصمعي: " جالست حماد فلم أجد عنده ثلاثمائة حرف فلم أرض روايته " [1]، كذلك كانوا لا يعتمدون على الشاهد الواحد لاستنباط القاعدة بل لأبد من كثرة وروده لتجعل ما يخالفها مما يحفظ ولا يقاس عليه، غذا وردت فيها شواهد كثيرة، وأما إذا ورد شاهد واحد من غير شواهد تخالفه فإنه يعد اصلا تؤسس عليه القاعدة كما فعل سيبويه في إلحاق (مفعولة) بـــــ (فعيلة) في النسب في حذف حرف المد، وقلب الحركة فتحة، اعتمادا على سماعه [2] أما الحديث لم يعتدوا به كثيرا لأن الحديث في نظرهم لم يكن رواته عربا لأنهم جوزوا روايته بالمعنى لا باللفظ، مما جعل الاحتجاج به في مجال اللغة والنحو مرفوضا بينما اعتدوا العقل والمنطق، وبنوا أصول نحوهم على: القرآن الكريم، السماع، القياس، التعليل

مصادرهم: (الكتاب) لسيبويه

(المقتضب) المبرد

(شرح كتاب سيبويه) لأبي سعيد السيرافي

(الإيضاح في علل النحو) لأبي القاسم الزجاجي

ثانياً: المدرسة الكوفية:

اختلفت الآراء حول نشأة المدرسة الكوفية، وتحديد بدايتها، ولكن يكاد يتفق القدماء على أن المدرسة الكوفية بدأت بأبي جعفر الرؤاسي فقد اعتبره الزبيدي

(1)ياقوت الحموي. معجم الأدباء، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1311هـــ – 1991م، ج12، ص 103

(2) أبو البقاء العكبري. سابق، ص27

رأس المدرسة الكوفية و أستاذ أهل الكوفة [1] و أيده فيما ذهب أليه ابن النديم وأعد الرؤاسي أول من وضع في النحو كتابا من الكوفيين وأنه أستاذ الكسائي والفراء [2] وأبو الفرج الاصفهاني هو أول من عد الكسائي مؤسساً للمدرسة الكوفية حينما ذكر " بأن الكسائي هو من رسم للكوفيين رسوماً يعملون عليها " [3] فقد ظهرت المدرسة الكوفية واستمرت قرناً ونصف من الزمان، فنحاة الكوفة اتصلوا بنحاة البصرة وأخذوا عنهم [4] فالكسائي خرج إلى البصرة ولقي الخليل وجلس في حلقته، ودرس كتاب سيبويه، كذلك الفراء أخذ عن يونس بن حبيب البصري [5]

منهج المدرسة الكوفية:

منهج الكوفيين هو المنهج الذي سلكه الكسائي وقد بُني على أسس بصرية وهي التي تأثر بها الكسائي في دراسته على الخليل وغيره من قدماء البصرة، وأما الأسس الكوفية هي ما أخذها الكسائي من بيئته التعليمية الأولى حيث كان قارئا معنيا بالرواية والنقل شأن القراء [6] قبل الكوفيون كل ما جاء عن العرب واعتدوا به، وجعلوه أصلا من أصولهم، وقيل بأنهم نقلوا الشواهد النادرة، وقبلوا الروايات

(1)الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ – 2002م، ج2، ص 234

(2)ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق. الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط2 1417ه– 1997م،

(3)الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن الهيثم. الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1371ه، ج1، ص 102

(4) القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة الحصرية، بيروت، ط1، 1424هـ، ج4، ص99

(5)أبو الطيب عبد الواحد اللغوي. مراتب النحويين و اللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر – القاهرة، د.ت، ص 299

(6)مهدي المخزومي. سابق، مدرسة الكوفة، ص 395– 396

الشاذة [1] وكان من بين أصحاب الكسائي والفراء وثعلب حفظة لهذه الروايات، فقد استشهدوا بالشعر العربي الجاهلي والإسلامي واحتجوا به، ومصادر المدرسة الكوفية متمثلة في:

1- القرآن الكريم وقراءاته (معاني القرآن) للفراء

2- الحديث النبوي الشريف (مجالس ثعلب) لثعلب

3- الشعر والنثر (شرح القصائد السبع الطوال) لأبي بكر بن الأنباري و، (الأضداد) له أيضا.

المبحث الثاني

تعريف موجز بالمؤلفين: شوقي ضيف وخديجة الحديثة

أولاً: شوقي ضيف:

هو شوقي ضيف عبد السلام ضيف الشهير " بشوقي ضيف " ولد في 13 يناير 1910م في قرية أولاد حمام في محافظة دمياط شمالي مصر [2] تلقى تعليمه في مراحله الأولى بقريته حيث ألتحق بالكتاب، وحفظ القرآن في سن صغيرة، ألتحق بمعهد الزقازيق الثانوي فتخرج فيه، وأنتقل إلى التجهيزية لدراسة الأدب، ثم ألتحق بجامعة الملك فؤاد الأول، عمل موظفا في مجمع اللغة العربية، وصار معيدا بذات الجامعة، له عدد من المؤلفات ما يقارب الخمسين مؤلفا في اللغة، والنحو، والدراسات، والأدب والنقد، و من أشهرها على جهة المثال لا الحصر:

(1) خديجة الحديثي. المدارس النحوية، مكتبة اللغة العربية، بغداد، ط3، 1422ه- 2001م، ص75

(2) شوقي ضيف. معي، دار المعارف القاهرة، ج1، ص 7

– سلسة تاريخ الأدب العربي . وهي من أشهر كتبه فقد استغرق في تأليفها ثلاثين عاما، شملت مراحل الأدب العربي منذ خمسة عشر قرنا وزعها إلى عشرة أجزاء منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، عدد طبعاته حوالي عشرين طبعة .

– الفن ومذاهبه في الشعر العربي

– الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور

– البحث الأدبي

– البلاغة تطور وتاريخ

– في النقد

– الوجيز في تفسير القرآن الكريم

– محمد خاتم المرسلين، وغيرها من المؤلفات .

توفي 13 مارس 1426هـــ – 2005م عن عمر 95 عاما، وختم بإعماله جيل الباحثين أمثال طه حسين والعقاد وبروكلمان، ولا يزال شوقي ضيف علامة فارقة في الدرس الأدبي . [1]

ثانياً: خديجة الحديثي:

هي خديجة عبد الرازق عبد القادر الحديثي، ولدت في مدينة البصرة سنة 1935م في ناحية السيبة، والسيبة تبعد من البصرة خمسة وستون كيلو متر، سكنها مدينة حديثة في محافظة الأنبار غرب العراق، تخرجت في كلية الآداب بجامعة

(1)عبد الستار الكلوجي و أخرون. شوقي ضيف أستاذية لا تنسى، مجلة تراثيات، الصادرة عن دار الكتب والوثائق المصرية، العدد 6، جمادي الأول 1426هـ – يوليو 2005م

بغداد قسم اللغة العربية [1] حصلت على شهادة الماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة 1961م في علم الصرف، وحصلت على الدكتوراه منها أيضا 1964م[2] عملت في مجال التعليم في المرحلة الثانوية لخمسة أعوام، ثم معيدة في كلية التربية بجامعة بغداد، لها عدد من المؤلفات في النحو والصرف، والأدب، من أهمها:

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، طبع بغداد، 1966م، تضمن شروح سيبويه مرتبة حسب وفيات مؤلفيها:
- أبو حيان النحوي، طبع ايضا في بغداد 1966م
- دراسات في كتاب سيبويه، طبع في بغداد 1980م
- سيبويه حياته وكتابه، طبع أيضا في بغداد 1974م
- بغداد والدرس النحوي
- الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو، وغيرها من الكتب، توفت 2018م[3]

فكرة الكتاب: تتمثل فيما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه قائلا: " حينما أعارتني جامعة القاهرة للعام الدراسي 1965م للجامعة الأردنية حاضرت الطلاب في تاريخ المدارس وحينما رجعت للمكتبة العربية الحديثة لم أجد فيها كتابا يغني عن هذا الموضوع " [4] .

منهج كتابه:

منهج شوقي ضيف يحمل تيسيرا للمدارس النحوية مما يؤكد أنه ذو رؤية ثاقبة، والمناهج المتبعة في تأليفه لهذا الكتاب أوضحها المنهج التاريخي وهو القائم

(1) مجلة نرجس العراقية. 2011م، العدد 233، ص3– 6

(2)عبد الجبار عبد الرحمن دليل يبيلو غرافي. محفوظات العربية المطبوعة في 1981م. مطبعة جامعة البصرة، ص 15

(3)سعدون الريس. الأدباء العراقيون المعاصرون، دار الجمهورية للنشر والطبع، 1965م ص35

(4) شوقي ضيف. سابق، المدارس، ص15

على فكرة الكتاب فكرة التطور والنمو، وقد أتبع أيضا المنهج الاستنباطي والوصفي، وقد نهج في تقسيم المناهج منهجا ميزه عن غيره، وقدم تراجم النحاة وأعتمد على مصادر القدماء والمحدثين.

كتاب المدارس النحوية لخديجة الحديثي:

فكرة الكتاب: تحدثت أيضا المؤلفة في مقدمة كتابها قائلة: " بأنه لا تزال الدراسات النحوية في الوطن العربي تقف طويلا عند النحو العربي ومدارسه، وبأن النقاش مازال محتدما بين الباحثين فمنهم من يثبت المدارس ومنهم من ينفيها " [1]

من الواضح أن الحديثي تعددت في استخدام المناهج حسب طبيعة المادة، فقد استخدمت المنهج التاريخي وذلك كمن خلال ذكر تاريخ المدن، وتتبع آراء العلماء منذ بداية الخلاف النحوي عند القدماء، ثم ظهور المدارس بمعناها الخاص، كما استخدمت المنهج الوصفي التحليلي فيما قرره القدماء ثم اعتمدت ذلك وسيلة

المبحث الثالث

المنهج والمادة ومواطن الاتفاق والاختلاف في الكتابين

كتاب المدارس النحوية لشوقي ضيف:

لبيان رأيها ووجهة نظرها، كما تميزت بالدقة والاستقراء، والمتابعة المنهجية الدقيقة.

ما اتفق عليه المؤلفان:

أولاً: أتفقا على التسمية فكلا الكتابين يحمل اسم " المدارس النحوية "

ثانياً: أتفقا على استخدام المناهج فكلاهما استخدم المنهج التاريخي، والوصفي التحليلي، كما أتفقا على ترتيب المدارس بداية بالمدرسة البصرية، ثم المدرسة الكوفية، ثم المدرسة البغدادية، والنحو في بيئات أخرى .

ثالثاً: أتفقا على أن البصرة واضعة النحو وذكر شوقي ضيف أسباب وضع النحو وردها على بواعث مختلفة منها باعث ديني، و قومي، واجتماعي [2] بينما الحديثي

(1) خديجة الحديثي. سابق، المدارس، مقدمة كتابها ص 3

(2) شوقي ضيف. سابق، ص 5

ربطت نشأة النحو بالبصرة كذلك متفقة مع ضيف، وذكرت بأن في البصرة دراسات قرآنية كانت تهتم بإقراء القرآن، ودراسته وقراءاته،وبأن البصرة كانت الباعث على نشؤ بذرة الدراسات اللغوية و النحوية .[1]

أتفقا كذلك على الحديث عن واضع النحو:

ذكر ضيف بأن البصرة هي التي وضعت النحو وذلك على يد أبي الأسود الدؤلي الذي وضع نقط الإعراب على المصحف والشريف ومن ثم ..... بوضع عدد من أبواب النحو، وقد درج الناس يأخذونعن تلاميذه [2] وإن ذلك تم بأمر من الإمام علي رضي الله عنه، وقد اتفقت الروايات في أن الواضع الأول للنحو هو أبو الأسود الدؤلي، كما أفردت الحديثي في حديثها عن أبي الأسود وترجمت له، وقالت بأنه ولد في الجاهلية وعاصر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحب عليا وكان من شيعته والعاملين بتوجيهاته، فلا تثبت لعلي بن أبي طالب دوراً في وضع النحو إلا دور الموجه والمشجع [3].

أتفقا على ذكر أوائل النحاة في البصرة:

أعتبر شوقي ضيف أبو إسحاق الحضرمي أول نحاة البصرة بالمعنى الدقيق للكلمة واتبعه في الأولية المبكرة جيل من تلاميذه في مقدمتهم عيسى بن عمر، و أبو عمر بن العلاء، ويونس بن حبيب [4]، وهذا الرأي سبقه عليه القدماء، واتفقت معه

(1) خديجة الحديثي. سابق، المدارس، ص 40

(2)شوقي ضيف. سابق، ص5، العسكري أبو أحمد بن سعيد. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبدالعزيز أحمد، المكتبة السلفية، 1963م، ص 10

(3)خديجة الحديثي. سابق، ص 41

(4) شوقي ضيف. سابق، ص22، ابن الجزري شمس الدين أبو الخير. غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، ط1. 1351ه، ج 10، ص 258، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبدالله. معجم الأدباء، سابق، ج10، ص 254

الحديثي فيما ذهب إليه بأن أبا عبدالله الحضرمي من أوائل النحاة في البصرة وترجمت له، وأفردت له في الحديث [1] كما أتفقا على ذكر الخليل بن أحمد، وكلاهما أفرد له حيزا في الحديث عنه، وترجما له، وذكر ضيف نشاطه العقلي والعلمي ودوره في نشأة النحو وقال: "إنه كان عقلا فذا، كلما مس شيئا نظمه، واستنبط قوانينه ودقائقه، وقد سلط هذا العقل على قوانين العربية في النحو والصرف [2] وقالت عنه الحديثي: "وصل النحو إلى الخليل بفضل الإعلام الذين سبقوه على تطويره ومتابعة كلام العرب الموثوق به".[3]

أتفقا على نشأة المدرسة البصرية:

شوقي ضيف يؤكد أن المدرسة البصرية تبدأ بأبي إسحاق الحضرمي، أما الحديثي فلم تصرح بنسبة تأسيسها لأحد [4]، كما أتفقا على ذكر علماء المدرسة البصرية و أتبعا في ذلك الترتيب الزمني بالمولد والوفيات ابتداء بسيبويه، وعيسى بن عمر الثقفي، و أبو إسحاق الحضرمي، و أبو عمر بن العلاء، ويونس بن حبيب، باعتبارهم علماء المدرسة البصرية واوائل نحاتها [5]

أتفقا على نشأة المدرسة الكوفية:

وكلاهما في الحديث عن المدرسة الكوفية تحدث عن نشأة الكوفة، وقالت الحديثي: " بأن النحو في الكوفة نشأة كنشأته في معظم الأمصار بعد نشؤ العلوم الدينية على

(1) خديجة الحديثي. سابق، ص 123

(2)شوقي ضيف. سابق، ص 76

(3) خديجة الحديثي. سابق، ص 65

(4) نفس المرجع. ص 66

(5) شوقي ضيف. سابق، ص 60

أيدي علماء القرآن و قراءاته "[1] وكلاهما نفي الرأي الذي يشكك في عدم وجود مدرسة كوفية، واتفقا أيضا على وجود نحاة أوائل في الكوفة قبل الكسائي والفراء، واتفقا كذلك على أن الكسائي هو مؤسس المدرسة الكوفية وله دور كبير في تكوينها، وضيف رأى أن الكسائي أراد أن يعاد النظر في التأصيل لقواعد النحو، ويفصح للقراءات واللغات الشاذة، وخرج بذلك لصورة جديدة في النحو لا تتفق مع المناهج الدقيقة في وضع العلوم [2]

اتفقا على نشأة المدرسة البغدادية:

وعند الحديث عن المدرسة البغدادية عنونت الحديثي النحو في بغداد و التقاء المذهبين ولم تذكر صراحة وجود مدرسة بغدادية، وقسمت علمائها إلى من ظل كوفيا، ومن ظل بصريا، بينما تحدث ضيف عن نشأة المدرسة البغدادية وقال: " إن نحاة بغداد نهجوا نهجا جديدا في دراساتهم النحوية يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية [3] متفقا على أن منهج المدرسة البغدادية ونحوها إنما هو عبارة عن مزيج من نحو المدرسة البصرية والكوفية

اتفقا على نشأة النحو في والأندلس ومصر:

يرى ضيف أن أول نحوي في الأندلس هو جودي، واعتبر الشنتمري أول من نهج لنحاة الأندلس اتجاه خاص وكان لا يكتفي بالأحكام النحوية بالعلل بل يطلب علة ثابتة [4] بينما الحديثي ترى إن بداية النحو في الأندلس كان بسبب رحلات العلماء إلى المشرق، وتحدثت عن دور أبي موسى الهواري والغازي بن قيس في تطور

(1) خديجة الحديثي. سابق، ص 116

(2) شوقي ضيف. سابق، ص 76

(3)نفس المرجع، ص 194

(4) نفس المرجع، ص 288

ونمو نشأة النحو في الأندلس[1]، وفي الحديث عن النحو في مصر أو المدرسة المصرية تحدث ضيف عن نشأة النحو في مصر، وقال بأنه ثمرة مجموعة من طبقة المؤدبين في الفسطاط والإسكندرية، ومن أقدمهم عبدالرحمن بن هرمز الذي كان تلميذا لأبي الأسود [2] اتفقت معه الحديثي في أن المدرسة المصرية نشأت على أيدي المؤدبين ومنهم عبدالرحمن بن هرمز.[3]

ما اختلف فيه المؤلفان:

خالفت الحديثي بأنها ذكرت أصل النحو العربي: ورأت أن الكلام بمنهاجه، وفكره، وأصوله، وتقسيماته إنما يرجع إلى التأثير بثقافات اللغات الثلاث: اليونانية، والسريانية، والفارسية [4]، بينما ضيف لم يتحدث عن أصل النحو بل تطرق فقط لنشأته، وكذلك خالفت بحديثها عن مصطلح النحو، وأوردت آراء الباحثين في أصل كلمة " نحو" وعرفتها في اللغة وقالت بأن النحاة الأوائل لم يستعملوا كلمة " نحو " للدلالة على هذا العلم وما يتبعه من دراسات خاصة به، إنما استعملوا كلمة العربية في مقابل كلمة " نحو " وظلت مستعملة على أواخر القرن الرابع عند الزبيدي فقد استعملها في عبارته الخاصة [5]

خالفت عند ذكر سيبويه والمبرد: بعد أن ترجمت له، تحدثت عن منهج كتابه، ومادته، وقالت: " للكتاب منهج واضح بناه سيبويه وحدده ورتب عليه العلوم التي ضمها هذا الكتاب، وقسمه إلى مقدمة شرح فيها سبب التأليف، وزمانه، ومصادره، وسبب اتباعه لهذا المنهج في التأليف، وخاتمة بيّن فيها نتائج بحثه " [6] وتحدثت

(1) خديجة الحديثي. سابق، ص 37

(2) شوقي ضيف. سابق، ص 328

(3) خديجة الحديثي. ص 260

(4) نفس المرجع. ص 38

(5)نفس المرجع، ص 29، الزبيدي محمد بن الحسن أبو بكر. طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت – لبنان، ط2، 1984م، ص 13– 14

(6) خديجة الحديثي. سابق، ص 92

عن اسلوب سيبويه في كتابه، وشواهده، وقالت: " بأن أسلوبه سهل المتناول قريبا من الأفهام "، وتحدثت كذلك عن عنوانه، وأبوابه ومصطلحاته، بينما ضيف تحدث عنه مسترسلا دون أن يفرد لذلك، وأخذ عنه الشواهد التي تخدم المدرسة من حيث الاتساع في الرواية والقياس . كما خالفت في حديثها عن المبرد أيضا عنونت لكتابه" المقتضب" وقالت: هو كتاب أشتهر في علمي النحو والصرف [1] وقالت: كان لسيبويه أثر ظاهر في جميع أبوابه ومسائله النحوية، كما تناولت شهرة الكتاب، ومنهجه، وشواهده، بينما جاء حديث ضيف عنه دون أن يعنون لذلك بعناوين منفصلة وقال: إن المبرد يعنى بالسماع عناية شديدة، ومضى يتبع أثر أستاذه المازني لا يرتضي بعض القراءات الشاذة [2]

خالفت الحديثي بذكر ما تميز به الكسائي في الدرس النحوي: وأرجعت ذلك لعدة أمور منها:

1- قلة تأثر الكسائي بالفلسفة الكلامية والمنطق والثقافات الأجنبية.

2- ميله إلى الاعتناء بظواهر إعرابية في بعض القراءات وجاز فيها التحكم.

3-عنايته بأخبار الأحاد التي صح سندها أو بالشواذ من كلام العرب الذين لم يثق بفصاحتهم وغيرها .[3]

ما تميّز به كل كاتب عن صاحبه:

أولاً: ما انفرد به شوقي ضيف: انفرد بذكر الأخفش الأوسط: وترجم له قبل ذكر الفراء وعده من علماء المدرسة البصرية وقال: " بأنه أكبر أئمة النحو البصري بعد سيبويه في كثير من المسائل، وحمل عنه الكوفيين و مضوا يتسعون فتكونت مدرستهم [4]

(1) خديجة الحديثي. سابق، ص 93

(2) شوقي ضيف. سابق، ص 31

(3) خديجة الحديثي. سابق، ص 149

(4)شوقي ضيف. سابق، ص 65

انفرد بالحديث عن قطرب: وعده من علماء المدرسة البصرية، وذكر بعض آرائه التي وردت في كتب النحو، كذلك تحدث عن عمر بن الجرمي، و أبي عثمان المازني وعدهم أيضا من علماء المدرسة البصرية [1] كما عد الزجاجي من علماء المدرسة البصرية وقال عنه: " له آراء مختلفة في كتب النحو منها ما يتصل بالعوامل، ومنها ما يتصل بالتعليل، ومنها ما يتصل ببعض الأدوات، ومنها مسائل نحوية وصرفية " [2]

انفرد بالحديث عن توسع مدرسة الكوفة في الرواية والقياس: واعتبر ما يميز المدرسة الكوفية هو اتساعها في رواية الأشعار، وعبارات اللغة عن جميع العرب، بينما تشددت البصرة ولا يثبتون إلا ما سمعوه من العرب الفصحاء وهم من سكان بوادي نجد والحجاز وتهامة [3]، و أن البصريين شنوا حربا على الكسائي لأنه كان يتسع في الرواية، ويسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن.[4]

انفرد بالحديث عن تلاميذ الكسائي ونشاطهم العلمي: وذكر منهم الأشهر أبا عبيدة القاسم بن سلام، وحمزة محمد بن سعدان الضرير، وهشام بن معاوية الضرير وأفاض في الحديث عنه، وذكر دورهم في نشر آراء الكسائي والنحو الكوفي [5] وكذلك تحدث عن تلاميذ ثعلب.

انفرد بذكر نحاة متأخرين: ويرى أن المدرسة الكوفية بعد أبي بكر بن الأنباري ظلت تنقبض وتمتد، مما هيأ لظهور المدرسة البغدادية، وتحدث عن أبي الحسن أحمد بن فارس (ت 359هـ)، وابن أجروم الصنهاجي المغربي بالرغم من أنه

(1) الزجاجي. سابق، الإيضاح والعلل في النحو، ص 345

(2) شوقي ضيف. سابق، ص 88

(3) نفس المرجع. ص 328

(4) نفس المرجع. ص 161، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3، ص 183

(5) شوقي ضيف. سابق، ص 187

عده من علماء المدرسة المغربية لأنه تأثر بالنحو الكوفي [1] وكذلك ذكر أندلسيين متأخرين وذكر منهم ابن الحاجب، و ابن الضائع، وابن أبي ربيع، وترجم لهم وذكر بعض من آرائهم النحوية، كما ذكر نحاة متأخرين في مصر وذكر منهم ابن عقيل،والدماميني الكافيجي محمد بن سليمان الرومي (ت 869هـ)، والشيخ خالد الأزهري (ت905هـ)، ونور الدين علي بن محمد بن عيسى (ت 929هـ) ، وذكر أصحاب الحواشي ومنهم الشنوني (ت 1019هـ)، والدنوشري (ت 1025هـ)، والشيخ ياسين صاحب حاشية التصريح على التوضيح (ت 1061هـ)، والخفي (ت 1178هـ)، والصبان محمد بن علي (ت 1206هـ).

ثانيا: ما انفردت به خديجة الحديثي:تعريف المدارس النحوية: ذكرت تعريف المدرسة كمصطلح عند مجموعة من المحدثين، وأوردت الخلاف في استخدام مصطلح " مدرسة " و " مذهب " ورجعت في تقصى المصطلحات إلى كتب القدماء، ورأت أن أول من أشار إلى كلمة مذهب هو محمد بن سلام الجمحي (139– 231هـ) [2] ورأت أن أبا بكر محمدة بن الحسن الزبيدي هو أول من قسم النحاة إلى كوفيين، وبصريين، ومن مزج بين المذهبين [3] وذكرت آراء المحدثين في تعريف المدارس منهم: جوتلد فايل، ومهدي المخزومي، وشوقي ضيف، وعبد الرحمن السيد، ورجعت تعريف المدرسة بمعناها الاصطلاحي إلى المعاصرين، بل وقالت بأن مهدي المخزومي هو أول من تبنى هذه التسمية [4] كما إنها طرحت سؤال (هل هناك مدارس ؟) وذكرت بأن العلماء ذهبوا في ذلك إلى مذاهب مختلفة، فقال بعضهم أنه لا توجد إلا مدرسة نحوية واحدة وهي مدرسة البصرة، كما أنكر

(1) نفس المرجع. ص 227

(2) خديجة الحديثي. سابق، ص 45. محمد بن سلام الجمحي. سابق، ج1، ص12

(3) نفس المرجع. ص 13، بروكلمان، سابق، ص 124–125

(4) نفس المرجع، ص 13

بعضهم وجود المدرسة الكوفية [1]، وقالت أن أول من شكك في ذلك هو جوتلد فايل إذ أنه عدهما مزيجا من المدرستين [2] وردت على من نفى وجود هذه المدارس، وأوردت الأدلة والبراهين على وجودها .

انفردت بذكر خصائص النحو الكوفي: وجملت تلك الخصائص في نقاط منها:

1- أخذ الكوفيون النحو البصري الذي نقلوه عن عيسى بن عمر، والخليل، والأخفش

2- لغات الإعراب التي أعتمد عليها البصريون في وضع قواعدهم و أخذه الكوفيون عنهم و ألفوا عليها مصنفاتهم.

3- المادة اللغوية التي تكونت من لغات القبائل الأخرى مثل تميم، وأسد، والحطيمة، وما جمعه الكسائي من البوادي.

4-الاحتجاج بالقراءات مطلقا، وذكرت آراء البصريين لهذه الخصائص ومخالفتهم لها [3]

انفردت بذكر النحو في الحجاز و الشام:

بدأت بالحديث عن تاريخ الحجاز ومكانتها العلمية، وقالت بأن العلم كان فيها دينيا صرفا، وكذلك تحدثت عن النحو في مكة ودورها في نشر العلوم الإسلامية والتشريع، وتحدثت كذلك عن الشام وخصت بالذكر أبا علي الفارسي وترجمت له، وابن جني، وابن خالويه، وتاج الدين الكندي، والحسن بن صافي بن نزار، وابن الحاجب، وابن يعيش، وابن مالك، وابن النحاس وافردت في الحديث عنه، وعدتهم من نحاة الشام بالسكن أو الهجرة.[4]

---

(1) نفس المرجع.ص 14

(2) جوتلد فايل، مقدمة بروكلمان، سابق، ص 352

(3) خديجة الحديثي. ص 15

(4) نفس المرجع، ص 119 – و 136

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد: إن قيمة كتابي " المدارس النحوية " لدكتور شوقي ضيف و خديجة الحديثي تظهر في إنهما من أحدث الكتب واوثقها فضلا في المدارس على اشتمالهما أهم المدارس النحوية، فليست هنالك فوارق جوهرية بينما هي أصول مشتركة، فضيف قارئ جيد للتراث وذلك ظهر في كتابه بشكل خاص، أما الحديثي فقد تطرقت لمصطلح مدرسة بمفهومها الخاص، وردت الآراء التي تنفي وجود مدارس غير المدرسة البصرية بل ودافعت بكل ما تملك من أدلة وبراهين، والتوافق التام بين المؤلفين إنما هو إجابة شافية في حقيقة المدارس إذ لا خلاف في وجودها ونشأتها، ودورها في نمو النحو وتطوره .

النتائج:

1- إن في النحو العربي ثلاث مدارس متفق عليها بين الكتابين وهي: مدرسة بصرية، ومدرسة كوفية، ومدرسة بغدادية، ومدرستان آخرتان أندلسية، ومغربية تعدان امتدادا لتلك المدارس، وعلمائها درسوا نحو تلك المدارس وأضافوا له، ونموه، وطوروه.

2- شوقي ضيف سابق للحديثي، وقد ذكرت بأنه قد درسها في إحدى مراحلها التعليمية، فقد تأثرت به وبكتابه تأثيرا كبيرا، وقد ظهر ذلك واضحا جليا في كتابها، من حيث استخدام المنهج، وتناول الموضوعات، كما أن كتابه سابق لكتابها فقد يسر لها جهدا كبيرا في جمع المادة، و ترتيب المدارس، وعلمائها، وأضافت لكتابه ولم تخالفه بالمعنى الدقيق للكلمة.

3- تميزت الحديثي بذكر كتب علماء المدارس، ومنهجهم، وأصول نحوهم، ومصطلحاتهم، بينما ضيف كان يتناول ما يخدم المدرسة من

خلال استخدام علمائها للعامل والمعمولات، والمصطلحات، والاتساع في الرواية والقياس .

المراجع:

القرآن الكريم .

1- إبراهيم عبود السامرائي .المفيد في المدارس النحوية، دار الميسرة للطباعة والنشر، عمان – الأردن، ط4.

2- إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وأخرون. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت.

3- ابنالجزريشمسالدينأبوالخير. غايةالنهايةفيطبقاتالقراء، مكتبةابنتيمية، ط1 . 1351هـ.

4- ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق محمد الوراق. الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط2، 1417هـ – 1997م.

5- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت . ط2، 1900م.

6- أبو البقاء العكبري. مسائل خلافية في النحو، تحقيق: عبد الفتاح سليم، مكتبة الآداب القاهرة، 2004م.

7- أبو الطيب عبد الواحد اللغوي. مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر– القاهرة، د.ت.

8- أحمد مكي الأنصاري . أبو زكريا الفراء ومذهبه في دراسة النحو واللغة،المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ونشر الرسائل الجامعية.

9- الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن الهيثم . الأغاني، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1371هـ

10- الجمحي بن سلام. طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمد شاكر، دار المدني – جدة، د.ت
11- خديجة الحديثي. المدارس النحوية، دار الأمل، أربد – الأردن، ط3، 1422هـ – 2001م.
12- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ – 2002م.
13- الزبيدي محمد بن الحسن أبوبكر. طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت – لبنان، ط2، 1984م.
14- الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي. الايضاح في العلل والنحو.
15- سعدون الريس. الأدباء العراقيون المعاصرون، دار الجمهورية للنشر والطبع، 1965م
16- شوقي ضيف. المدارس النحوية، دار المعارف – مصر، ط 7,1968م.
17- شوقي ضيف . معي، دار المعارف، القاهرة، ط 1 .
18- عبد الجبار عبد الرحمن دليل يبليو غرافي . مخطوطات العربية المطبوعة في 1981م، مطبعة جامعة البصرة .
19- عبد الستار الكلوجي وأخرون . شوقي ضيف أستاذية لا تنسى، مجلة تراثيات الصادرة عن دار الكتب والوثاق المصرية، العدد 6، جمادي الأول، 1426ه، يوليو 2005م.

20- عبدالله الخثران . مراحل تطور الدرس النحوي . دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ط1، 1413هـ – 1993م.

21- العسكري أبو أحمد بن سعيد . ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد، المكتبة السلفية، 1963م.

22- الفارس أبي عبد الله بن الطيب . فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح، دار البحوث للدراسات، الأمارات، ط1، 1423هـ – 2002م.

23- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف . إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة الحصرية – بيروت، ط1، 1424هـ .

24- كارول بروكلمان . تاريخ الأدب العربي . ترجمة: عبدالحليم النجار، دار المعارف القاهرة، ط4

25- مجلة نرجس العراقية . 2001م، العدد 233.

26- مهدي المخزومي . مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي، مصر،ط2,1377هـ – 1985م.

27- ياقوت الحموي شهاب الدين أبوعبدالله . معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ – 1993م ، المعارف، بيروت – لبنان، ط2، 1984م.